

التناغم الفكري وصوره في أشعار السياب الوطنية

م.م. قاسم كطوف رهيح

Intellectual Harmony and its Images in Al-Sayyab's National Poetry Assistant Lecturer Qasim Katouf Rahij

Abstract: This research examines the theme of intellectual harmony in the nationalistic poetry of Badr Shakir al-Sayyab, a prominent feature of his modern poetic experience. Intellectual harmony refers to the consonance between the intellectual vision and the artistic structure of the poetic text, reflecting an integrated unity between meaning and style. This harmony is manifested in al-Sayyab's ability to express national issues through symbolic poetic imagery and evocative, impactful language. He also demonstrated a balance between his personal experience and collective concerns, imbuing his poetry with a profound human dimension. The research focuses on analyzing selected examples of his poetry to reveal the most prominent manifestations of this harmony. It demonstrates that political and social circumstances played a significant role in shaping his poetic vision. It also posits that al-Sayyab successfully employed modern techniques to serve his nationalistic ideas. The research adopts a descriptive-analytical approach to studying the texts. The study's significance lies in deepening the understanding of the relationship between thought and form in modern poetry. It concludes that intellectual harmony contributed to enhancing the aesthetic and semantic value of al-Sayyab's nationalistic poetry.



Article history

Received: 18/5/2026

Accepted: 18/7/2026

Published : 30/9/2026

تواريخ البحث

تاريخ الاستلام: 18/5/2026

تاريخ القبول : 18/7/2026

تاريخ النشر : 30/9/2026

الكلمات المفتاحية العربية :

التناغم، الفكر، الشعر، الوطن، السياب.

Keywords :

Harmony, Thought, Poetry, Homeland, al-Sayyab

© 2023 THIS IS AN OPEN ACCESS
ARTICLE UNDER THE CC BY
LICENSE



<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

Corresponding author:

Qasim Katouf Rahij

Qasmalqryshy7@gmail.com

DOI : [10.61710/v10/i3/s15](https://doi.org/10.61710/v10/i3/s15)

المستخلص :

يتناول هذا البحث موضوع التناغم الفكري في أشعار بدر شاعر السياب الوطنية، بوصفه سمة بارزة في تجربته الشعرية الحديثة. ويقصد بالتناغم

الفكري انسجام الرؤية الفكرية مع البناء الفني للنص الشعري، بما يعكس وحدة متكاملة بين المعنى والأسلوب. وقد تجلّى هذا التناغم في قدرة السيّاب على التعبير عن القضايا الوطنية من خلال صور شعرية رمزية ولغة إيحائية مؤثرة. كما أظهر توازناً بين تجربته الذاتية والهَمّ الجمعي، مما منح شعره بعداً إنسانياً عميقاً. ويركّز البحث على تحليل نماذج من شعره للكشف عن أبرز مظاهر هذا التناغم. ويبيّن أن الظروف السياسية والاجتماعية كان لها دور مهم في تشكيل رؤيته الشعرية. كما يفترض أن السيّاب نجح في توظيف التقنيات الحديثة لخدمة أفكاره الوطنية. ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في دراسة النصوص. وتبرز أهمية الدراسة في تعميق فهم العلاقة بين الفكر والشكل في الشعر الحديث. وتخلص إلى أن التناغم الفكري أسهم في تعزيز القيمة الجمالية والدلالية لشعر السيّاب الوطني.

المقدمة :

يُعدّ الشعر الوطني من أبرز الأجناس الأدبية التي تعكس وعي الشاعر بقضايا وطنه وتفاعله مع التحولات السياسية والاجتماعية، ويبرز اسم بدر شاكر السيّاب بوصفه أحد أهم رواد الشعر العربي الحديث الذين استطاعوا أن يمزجوا بين التجربة الذاتية والهَمّ الجمعي، مقدّماً خطاباً شعرياً متماسكاً يعكس تناغماً فكرياً واضحاً. ويظهر هذا التناغم في انسجام الرؤية الفكرية مع البنية الفنية للنص، وفي توحّد المضامين الوطنية مع الأساليب التعبيرية الحديثة، مما يمنح شعره بعداً دلاليّاً عميقاً.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في محاولة الكشف عن طبيعة التناغم الفكري في أشعار السيّاب الوطنية، وكيف تجلّى هذا التناغم في نصوصه الشعرية، وهل كان هذا التناغم ثابتاً أم متغيراً تبعاً للظروف السياسية والاجتماعية؟ كما تسعى الدراسة إلى معرفة مدى قدرة السيّاب على توظيف أدواته الفنية لخدمة رؤيته الفكرية الوطنية.

أهمية البحث: تتبّع أهمية البحث من كونه يسلّط الضوء على جانب مهم من شعر السيّاب، وهو البعد الفكري المتناغم مع البنية الجمالية، مما يسهم في فهم أعمق لتجربته الشعرية. كما يقمّ البحث إسهاماً في الدراسات النقدية الحديثة التي تهتم بتحليل العلاقة بين الفكر والشكل في الأدب، ويكشف عن دور الشعر في التعبير عن القضايا الوطنية.

أسئلة البحث:

1. كيف تجلّى التناغم الفكري في أشعار السيّاب الوطنية؟
2. ما أبرز الصور والأساليب التي عبّر بها السيّاب عن هذا التناغم؟

3. هل تأثر هذا التناغم بالظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها الشاعر؟

فرضيات البحث:

- اعتمد السيّاب على صور شعرية حديثة وأساليب مبتكرة لتحقيق هذا التناغم.

- تأثر التناغم الفكري في شعره بالواقع السياسي والاجتماعي في العراق والعالم العربي.

- أسهم هذا التناغم في تعزيز القيمة الجمالية والدلالية للنص الشعري.

منهج البحث: يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تحليل نماذج مختارة من أشعار السيّاب الوطنية للكشف عن مظاهر التناغم الفكري فيها، مع الاستفادة من المنهج النقدي في تفسير الصور الشعرية والرموز والدلالات، وربطها بالسياق التاريخي والاجتماعي الذي كُتبت فيه.

الاطار النظري:

بدر شاكر السيّاب:

يُعدّ بدر شاكر السيّاب من أبرز رواد الشعر العربي الحديث، ومن المؤسسين لحركة الشعر الحر، وقد شكّلت تجربته الشعرية نقطة تحوّل في بنية القصيدة العربية من حيث الشكل والمضمون معاً. وتتميّز أشعاره الوطنية ببراءة فكري عميق، حيث تتداخل فيها الأبعاد السياسية والإنسانية والاجتماعية، مما أفرز حالة من التناغم الفكري الذي يربط بين الرؤية والموضوع والصورة الفنية. وبدر شاكر السيّاب شاعرٌ عربيٌّ عراقيّ الأصل، وهو من أشهر روّاد التجديد في الشعر العربي المعاصر، ومن أوائل مؤسسي مدرسة الشعر الحر، حيث قام بذلك بالاشتراك مع مجموعةٍ من أشهر الشعراء أمثال صلاح عبد الصبور، وأمل دنقل، ولميعة عباس عمارة، وقد تميّزت قصائد السيّاب بالتدفق الشعري، والخروج عن الشكل التقليدي للقصيدة، كما اتّسمت بلمحة حزني سيطرت عليها، وذلك بسبب ظروف حياته الصعبة، من الناحية الاجتماعية والنفسية والجسدية، لا سيّما مرضه الذي أدّى في النهاية إلى موته يوم الرابع والعشرين من شهر كانون الأول من عام 1964م (احسان ، 1969: 126).

وُلد بدر شاكر بن عبد الجبار بن مرزوق عام 1926م، في يومٍ وشهرٍ مجهولين حتى بالنسبة للشاعر نفسه، فقد نسي والده عند تسجيله تاريخ مولده بالتحديد، وكانت ولادته في قريةٍ صغيرة وبسيطة جداً، ذات طبيعةٍ خلابةٍ تقع جنوب العراق وتسمى (جيكور)، وكان معظم سكان هذه القرية يعملون في فلاحه أشجار النخيل، أمّا والده شاكر عبد الجبار فكان كغيره من سكان القرية يعمل كما يعملون في فلاحه

أشجار النخيل، ويعيش في ضيقٍ مادي في بيت العائلة الممتدة، وكانت أمّه كريمة التي هي ابنة عم والده قد أنجبت ولدين آخرين غير بدر، وهما عبدالله ومصطفى، وبنناً توفيت هي ووالدتها إثر وضعها في عام 1930م، فعاش بدر يتيم الأم وهو في السادسة من عمره، ونشأ متنقلاً بين بيت جده لأبيه وجدته لأمه.

يعتبر بدر شاكر السيّاب واحد من أشهر الشعراء العراقيين في العصر الحديث، ولد في محافظة البصرة جنوب العراق في قرية تدعى (جيكور)؛ حيث ساهم في ترجمة الكثير من الأعمال العالمية لكبار الأدباء في العالم كـ (الإسباني فديكو جارسيا لوركا، والأمريكي إزرا باوند، والهندي طاغور، والإيطالي أرتورو جيوفاني) (إياد، 2010: 69).

امتاز بمعرفته العميقة بالتراث الشعري والأوزان الخليلية، واهتمامه الكبير بتجارب كبار الشعراء الكلاسيكيين من شعراء العصر الجاهلي مروراً بشعراء العصر العباسي كـ (المتنبي، وأبوتام، وأبو العلاء المعري، وابن الرومي، وأبي نواس) وصولاً إلى شعراء العصر الحديث كـ (أحمد شوقي ومحمد مهدي الجواهري).

اعتبر السيّاب من مؤسسي الشعر الحر في الأدب العربي، ونظم الكثير من القصائد الطويلة، التي كان يعبر من خلالها عن خلجات نفسه ووجدانه.

كما اشتهر بالتزامه بالقضايا الوطنية، حيث ناضل في سبيل العراق ونظم الكثير من القصائد الجميلة التي تعبر عن الوطن سنستعرض في بحثنا هذا بعضها.

عاش بدر شاكر السيّاب متنقلاً بين جيكور وأبي الخصيب والبصرة لتلقّي علومه الدراسية، ثم التحق بدار المعلمين في بغداد عام 1943م، ودرس أدب اللغة العربية لمدة عامين، وفي العالم الثالث انتقل إلى قسم أدب اللغة الانجليزية، وتخرّج منه عام 1949م حاملاً شهادة في اللغة الانجليزية (حسن، 2012: 27).

مفهوم التناغم الفكري في الشعر:

التناغم الفكري هو انسجام الأفكار داخل النص الشعري، بحيث تتكامل الرؤية الفكرية مع التجربة الشعورية والصور الفنية، لتكوّن وحدة دلالية متماسكة. ويتجلى في شعر السيّاب عبر: ترابط الموضوعات (الوطن – الحرية – المعاناة)، وحدة الإحساس واللغة، تداخل الذاتي والموضوعي (حسن، د/ت: 37).

مرتكزات التناغم الفكري في شعر السيّاب الوطني:

- وحدة الرؤية الوطنية: ينطلق السياب من رؤية وطنية واضحة تقوم على: حب العراق ورفض الاستعمار والتطلع إلى الحرية، وقد أسهم شعره في إيقاظ الوعي الوطني لدى الشعب العراقي، والتناغم هنا يظهر في: انسجام الفكرة السياسية مع العاطفة وارتباط الوطن بالذات الشاعرة.

- التفاعل بين الذات والموضوع: في شعر السياب لا ينفصل الوطن عن ذات الشاعر وتتحول التجربة الشخصية إلى قضية عامة فالحنين إلى "جيكور" يصبح رمزاً للوطن والغربة الشخصية تتحول إلى غربة وطنية وهذا ما يؤكد أن السياب عبّر عن مأساة الاغتراب والحنين للوطن بشكل عميق .

- الجدلية بين الألم والأمل: من أبرز مظاهر التناغم الفكري الجمع بين الألم (الاحتلال، الفقر، المرض) والأمل (الثورة، التحرر، المستقبل) حيث لا يطرح الألم بشكل عبثي بل يجعله مقدمة للتغيير وقد اتسم شعره بدمج المعاناة الإنسانية مع روح الثورة والأمل .

- التوازن بين الفردي والجماعي: في شعره الوطني الفرد = الشاعر والجماعة = الشعب ويظهر التناغم في تحويل المعاناة الفردية إلى قضية جماعية، تمثل الشاعر صوت الأمة (حيدر، 1991: 51).

الاطار التطبيقي:

صور التناغم الفكري في شعر السياب الوطني

الصورة الرمزية: اعتمد السياب على الرموز لتحقيق الانسجام الفكري، مثل المطر يعبر عن الحياة والتجدد، والنهر يشير إلى الوطن، والأرض إلى الهوية وهذه الرموز تجمع بين المعنى الواقعي والبعد الفكري وتحقق وحدة دلالية عميقة.

يقول الشاعر في قصيدة "أنشودة المطر"

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر

أو شرفتاني راح ينأى عنهما القمر

عيناك حين تبسمان تورق الكروم

وترقص الأضواء... كالأقمار في نهز

(السياب، 2007: 74)

يبدأ السياب هذا المقطع بصورة جمالية تنقل القارئ من الخاص إلى العام، حيث تتحول صورة “العينين” من وصف فردي إلى رمز للوطن. يظهر التناغم الفكري في الربط بين الجمال الطبيعي (النخيل، القمر، النهر) وبين الأمل الكامن في الذات الوطنية. فالعينان هنا ليستا مجرد عضو جسدي، بل تمثلان العراق بما يحمله من خصب وحياة. كما أن توظيف الطبيعة يعكس حالة الانسجام بين الإنسان وأرضه، وهو ما يعمق البعد الوطني للنص. الإيقاع الهادئ ينسجم مع الصورة الرومانسية، مما يخلق توازناً بين العاطفة والفكرة. كذلك، فإن التدرج من السكون إلى الحركة (تبسمان، تورق، ترقص) يشير إلى تحول داخلي يعكس الأمل بالتجدد. وهنا يتحقق التناغم بين الرمز والدلالة، حيث تتكامل الصورة مع الرؤية الوطنية. إن السياب لا يصرح بالوطن، لكنه يجعله حاضراً في كل تفصيلة جمالية. وهذا يبرز قدرته على دمج الذاتي بالجمعي ضمن بنية فكرية متماسكة (خالد، 2018: 12).

الصورة الأسطورية: استفاد من الأساطير ليعبر عن صراع الإنسان ويربط الماضي بالحاضر التناغم يظهر في توظيف الأسطورة لخدمة القضية الوطنية ربط التاريخ بالواقع.

يقول الشاعر في قصيدة “غريب على الخليج”

الشمس أجمل في بلاد من سواها، والظلام

حتى الظلام هناك أجمل، فهو يحتضن العراق

(السياب، 2007: 92)

يعبر هذا المقطع عن تجربة الاغتراب التي يعيشها الشاعر، حيث تتجلى العلاقة العميقة بين الذات والوطن. يظهر التناغم الفكري في المفارقة بين “الشمس” و”الظلام”، إذ يجعل السياب حتى الظلام في وطنه جميلاً، لأنه مرتبط بالانتماء. هذه المفارقة تكشف عن رؤية فكرية عميقة تقوم على أن قيمة الأشياء ليست في ذاتها، بل في ارتباطها بالوطن. كما أن المقارنة بين “هنا” و”هناك” تعزز البعد الوطني، وتظهر الحنين بوصفه قوة فكرية وعاطفية. الإيقاع البسيط يعكس صدق التجربة، ويمنح النص طابعاً إنسانياً. كذلك، فإن استخدام اللغة المباشرة نسبياً لا يفقد النص شعريته، بل يعزز وضوح الفكرة. ويتجلى التناغم في اتحاد الشعور بالغربة مع فكرة الانتماء، مما يجعل النص وحدة متكاملة. فالوطن هنا ليس مكاناً فقط، بل هو معيار الجمال والقيمة (ريتا، 1983: 83).

الصورة الطبيعية: الطبيعة عند السياب ليست وصفاً فقط، بل مرآة للواقع السياسي تعبير عن الحالة النفسية مثل: المطر = الخلاص، والجفاف = القهر.

يقول الشاعر في قصيدة "أنشودة المطر"

مطر ... مطر ... مطر ...

وفي العراق جوع

وينثر الغلال فيه موسم الحصاد

لتشبع الغربان والجراد

(السياب، 2007: 74)

يمثل هذا المقطع ذروة التوتر بين الواقع والأمل، حيث يجسد السياب مأساة الشعب العراقي عبر صورة الجوع رغم وجود المطر. يظهر التناغم الفكري في التناقض بين "المطر" الذي يرمز للحياة، و"الجوع" الذي يعكس المعاناة. هذا التناقض ليس عبثياً، بل يكشف خللاً اجتماعياً وسياسياً. كما أن تكرار كلمة "مطر" يعزز الإيقاع ويؤكد مركزية الرمز في بناء الفكرة. وتتحول الطبيعة هنا إلى وسيلة نقد، حيث لا تؤدي وظيفتها الطبيعية بسبب الفساد أو الظلم. كذلك، فإن صورة "الغربان والجراد" ترمز إلى القوى المستغلة التي تستفيد من خيرات الوطن. وهذا يعمق البعد الوطني للنص. ويتحقق التناغم في ترابط الرموز مع الواقع، مما يجعل الصورة الشعرية حاملة لفكرة نقدية واضحة. إن السياب ينجح في توحيد الإحساس بالفقر مع الرؤية السياسية ضمن بناء شعري متماسك (عبد الجبار، 1966: 47).

الصورة الواقعية: تناول الفقر والاستعمار ومعاناة الشعب لكن بصورة فنية لا مباشرة بل عبر صور شعرية مكثفة.

يقول الشاعر في قصيدة "غريب على الخليج"

أصبح بالخليج: "يا خليج

يا واهب اللؤلؤ والمحار والردى!"

(السياب، 2007: 93)

في هذا المقطع، يخاطب السياب الخليج بوصفه كياناً حياً، مما يضفي بعداً درامياً على النص. يظهر التناغم الفكري في الجمع بين العطاء (اللؤلؤ والمحار) والموت (الردى)، وهو ما يعكس تناقضات الواقع العربي. كما أن النداء المباشر يعكس حالة الانفعال والاعترا، ويجعل القارئ شريكاً في التجربة.

ويتحول الخليج إلى رمز مزدوج: مصدر رزق ومصدر ألم في آن واحد. وهذا يعكس رؤية فكرية نقدية تتجاوز السطح إلى العمق. الإيقاع القوي يعزز التوتر الداخلي، ويواكب الصراع النفسي للشاعر. كذلك، فإن استخدام الرموز البحرية ينسجم مع بيئة الخليج، مما يضيف واقعية على النص. ويتجلى التناغم في تداخل العاطفة مع الفكر، حيث لا ينفصل الشعور عن الرؤية. إن السياط يوظف المكان ليعبر عن أزمة إنسانية ووطنية، مما يمنح النص بعداً شاملاً (عبد الكريم، 2009: 18).

أدوات تحقيق التناغم الفكري:

اللغة الشعرية: تميّزت لغة السياط ب: البساطة والعمق والقرب من الحياة اليومية مما ساعد على وضوح الفكرة وانسجامها مع الشعور.

الإيقاع (الشعر الحر): التحرر من القافية التقليدية إذ تنويع الموسيقى الشعرية أدى إلى مرونة في التعبير الفكري وتوافق بين الشكل والمضمون.

التكرار والتوازي: استخدم التكرار لتأكيد الفكرة والتوازي لبناء وحدة إيقاعية وفكرية (علي، 1998: 67).

تجليات التناغم الفكري في نماذج شعرية:

“أنشودة المطر” المطر = الأمل، والعراق = المعاناة، والتكرار = تأكيد الرؤية، فالتناغم: بين الرمز (المطر) والفكرة (الخلاص).

“غريب على الخليج” الغربة = تجربة شخصية، والوطن = حلم العودة، فالتناغم: بين الألم الفردي والانتماء الوطني.

يقول الشاعر:

ووراء بابٍ كالقضاء

قد أوصدته على النساء

أيّد تطاع بما تشاء، لأنها أيدي رجال

(السياط، 2007: 23)

الباب إذن محكم الإغلاق قد أوصدته أيدي رجال شداد غلاظ.. هذا ما ترفدنا به الصورة التشبيهية المسوغة الغريبة حينما تطل علينا من داخل النص بكامله.

وثمة صورة تشبيهية أخرى مماثلة ذات حدين أحدهما (المشبه) مادي والآخر (المشبه به) معنوي: «كأن كل دمي اشتها».

وتنعكس الصورة في لوحات تشبيهية أخرى؛ إذ يجيء المشبه معنويًا، في حين يأتي المشبه به ماديًا، مثل: «بُقيّ النعاس كالحجاب من الحرير»، فالمشبه هنا (بقيا النعاس) معنوي، والمشبه به (الحجاب من الحرير) مادي. ومثل ذلك أيضًا: «الفرح الخفي كالضباب (عيسى، 1971: 81).

أما الصور المتولدة عن التشبيهات التي تخلق فيها الشاعر عن استعمال الأداة، لتحل الاستعارة فيها محل التشبيه حينًا، أو تبقى محتفظة بطرفي التشبيه، دون الأداة، حينًا آخر، فيمكن أن نورد لها الأمثلة الآتية: الريح تلهث – الريح تصرخ – الموج يعول – القرى المتهيبات – وجه أمي وصوتها المتزلقان مع الرؤى – العراق دورة أسطوانة – وهذه الدورة هي دورة الأفلاك من عمر الشاعر، وهي وجه أمه وصوتها، وهي النخيل، وهي المفلية العجوز... وتثير انتباهنا هذه الصور المتولدة عن دورة الأسطوانة بما تحمل من تداعيات تعود بالشاعر من ديار الغربية إلى أرض الوطن الحبيب وإلى عالم الطفولة البريئة والطبيعة العراقية الجنوبية بما تزدحم به من صور ولوحات مألوفة، مازجًا عالم الواقع المعيش بعالم الخيال النابض في حكايات العجائز:

بالأمس، حين مررت بالمقهى، سمعتك يا عراق..

وكنت دورة أسطوانة

هي دورة الأفلاك من عمري،

تكور لي زمانه

في لحظتين من الزمان، وإن تكن فقدت مكانه،

هي وجه أمي في الظلام

وصوتها، يتزلقان مع الرؤى حتى أنام

وهي النخيل أخاف منه إذا ادلهم مع الغروب

فاكتظ بالأشباح تخطف كل طفل لا يؤوب

من الدروب،

وهي المغلية العجوز وما توشوش عن «حزام»

وكيف شق القبر عنه أمام «عفراء» الجميلة

فاحتازها.. إلا جديلة..

(السياب، 2007: 31)

إن الصور تتلاحق في هذا المقطع ويأخذ بعضها بتلابيب البعض الآخر، حتى نصل إلى نهاية المطاف مع الأساطير المحيكة حول الشاعر العاشق عروة بن حزام وحبيبته الجميلة عفراء.

ويستمر الشاعر في عرض لوحاته التصويرية بأسلوب يمزج فيه بين عالمين: عالم الحلم المحكي، وعالم الواقع المرئي، فنشعر من خلال «دورة الأسطوانة» أن السياب بعيد غريب عنا، من جهة، وحاضر قريب منا، من جهة أخرى.. بعيد مادياً بجسده، وقريب معنوياً بروحه، بأحاسيسه، وبذكرياته المتداعية من خلال «دورة الأسطوانة» إياها:

زهراء، أنت.. أتذكرين

تنورنا الوهاج ترحمه أكف المصطلين؟

وحديث عمتي الخفيض عن الملوك الغابرين؟

ووراء باب كالقضاء

قد أوصدته على النساء

أيد تطاع بما تشاء، لأنها أيدي رجال-

كان الرجال يعربدون ويسمرون بلا كلال

أفتذكرين؟ أتذكرين؟

سعداء كنا قانعين

بذلك القصص الحزين لأنه قصص النساء

حشد من الحيوانات والأزمان كنا عنفوانه

كنا مداريه اللذين ينال بينهما كيانه

أفليس ذاك سوى هباء

حلم ودوره أسطوانه؟!

(السياب، 2007: 32)

وفي هذا المقتبس المبتدئ بكلمة «الأمس» والمنتهي بكلمة «أسطوانه» يبهزنا الشاعر بتدفق موسيقاه ذات الإيقاعات المتولدة من تكرار القوافي النونية خاصة، الساكنة المجردة، سواء الداخلية منها، الواقعة ضمن تفعيلات «الحشو»، أو الخارجية التي تشكل قافية تفعيلات «الأضرب»، أو تلك القوافي النونية غير المجردة، ولنقل «المزيدة» في مصطلح علم الصرف، مثل: أسطوانه – زمانه – مكانه – عنفوانه – كيانه (ماجن، 2004: 113).

وتواجهنا مثيلات هذه النغمات الإيقاعية المتولدة من تكرار القوافي الداخلية والخارجية، على مدى المساحة التي شُيِّد فوقها صرخُ القصيدة؛ فضلاً عن تكرار قوافي حرف النون، نلاحظ أيضاً قوافي الكلمات: الخليج – عراق – الأجنبية – خطيه.

الحنين الى الوطن:

هناك بين صفحات كتب اللغة العربية في المرحلة الدراسية قبل قبل سنوات من الآن، كانت المرة الأولى التي تعانق بها عيناى حروف الشاعر العراقي بدر شاكر السيَّاب، أذكر انبهاري وقتها جيداً من دقة وصفه وبلاغة حروفه وقوة كلماته مع بساطتها، كانت القصيدة الأولى التي أقرأها له، وبحكم وجودها في منهج الدراسة وكان مطلوباً مني فهمها جيداً ومحاولة الوقوف على المعاني التي قصدها قلبه قبل قلمه في كل حرف فيها، اجتهدنا وحللنا عشرات المعاني المحتملة، ولكن في الحقيقة مهما حاولنا لن نصل للمعنى والشعور الحقيقي الذي قصده الكاتب وهنا يكمن سحر الشعر (محمود، 1965: 64).

كانت القصيدة "غريب على الخليج" التي تحدثنا عنها في المبحث الثاني من هذا البحث مثقلة بالألم ومتزفة بالوجع ومشبعة بالقهر بشكلٍ لن أنصفه مهما كتبت، إذ خطَّ بها شوقه لبلده العراق الذي أبعد نفسه عنه خوفاً من السجن وذلك بعد ملاحقته من قبل السلطة لانتمائه لفترة من الزمن للحزب الشيوعي. يقول في أبياتها:

"صوت تقجّر في قرارة نفسي التكلّى: عراق

كالمَدّ يصعد، كالسحابة، كالدُموع إلى العيون

الريح تصرخ بي عراق

والموج يعول بي عراق، عراق، ليس سوى عراق

البحر أوسع ما يكون وأنت أبعد ما يكون

والبحر دونك يا عراق"

(السيّاب، 2007: 93)

هذه الحروف الصادقة، احتلت بدايات القصيدة، ويبدو جلياً الألم والشوق اللذان يعتصران قلب السيّاب وهو يشعر بحرقة البعد عن وطنه العراق. تتابنا مشاعر التعجّب هنا تحديداً من قوّة العاطفة تجاه الوطن فبين ثنايا هذه القصيدة تشعر بتعلّق الشاعر بوطنه، كتعلّق الطفل بأمّه وتعلّق العاشق بمعشوقته، وكلا المثالين استخدمهما الشاعر وربطهما بحبّه لبلده في قصيدته:

"أحببت فيك عراق روحي أو حبيبك أنت فيه

يا أنتما – مصباح روحي أنتما – وأتى المساء

والليل أطبق، فلتشعاً في دجاء فلا أتيه

لو جئت في البلد الغريب إلى ما كمل اللقاء

الملتقى بك والعراق على يدي.. هو اللقاء

شوق يخضّ دمي إليه، كأن كل دمي اشتهاه

جوع إليه.. كجوع كلّ دم الغريق إلى الهواء"

أحبّ الوطن بطريقة مخيفة، بطريقة لا تتقبّل فكرة الخيانة بتاتاً، لا تتقبل الفكرة قبل الفعل ويقول فيها:

"إني لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون

أيخون إنسان بلاده؟

إن خان معنى أن يكون، فكيف يمكن أن يكون؟

الشمس أجمل في بلادي من سواها، والظلام

حتى الظلام – هناك أجمل، فهو يحتضن العراق"

(السيّاب، 2007: 92)

نجح بصدق في ربط عاطفتي الأمومة والعشق بحبّ الوطن فأنتج إحدى أجمل قصائده وأكثرها تأثيراً في نفس القارئ؛ غريب على الخليج.

يقول السيّاب في مطلع قصيدته أنشودة المطر:

"عيناك غابتا نخل ساعة السحر،

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر .

عيناك حين تبسمان تورق الكروم
وترقص الأضواء ... كالأقمار في نهج
يرجّج المجذاف وهنا ساعة السحر"
(السيّاب، 2007: 74)

كلّ هذه الرقّة في الغزل، وكلّ هذه المشاعر حوتها الحروف منها ما قد وصل إلينا كقرّاء ومنها ما لم يصل، بعضها قد أوردها السيّاب في كلماته علانية وبكلّ وضوح، وبعضها أرفقه سرّاً بين ثنايا الكلمات وبين مقاطع شعره، شعر التفعيلة (موسى، 2018: 17).

على الرّغم من كلّ الظروف الصعبة والمستحيلة التي عاشها السيّاب، والقارئ في سيرته والمطلّع عليها يعرف كم عانى وكم تعب في حياته، إلا أنه أيضاً أبدع في مواساة نفسه ورفع معنوياته، لتظلّ حروفه في قصيدة سفر أيوب ضماداً لجروحه وجروح كلّ من يمرّ في ظروف صعبة من بعده، يقول فيها:
"لك الحمد مهما استطال البلاء
ومهما استبدّ الألم،

لك الحمد، إن الرزايا عطاء
وإن المصيبات بعض الكرم.
ألم تُعطني أنت هذا الظلام
وأعطيتني أنت هذا السحر؟
فهل تشكر الأرض قطر المطر
وتغضب إن لم يجدها الغمام؟"
(السيّاب، 2007: 121)

أبدع في الحبّ، وأبدع في الغزل، احترق عشق الوطن وتشرّبته، لم ينس المواساة وبالطّبع كان لقلمه بصمة في المناجاة وقصيدته (أمام باب الله) خير دليل على ذلك إذ نظم فيها:

"منطرحاً أمام بابك الكبير
أصرخ في الظلام أستجير
يا راعي النمال في الرمال
وسامع الحصة في قرارة الغدير
أصيح كالرعود في مغاور الجبال
كأهة الهجير
أتسمع النداء؟ يا بورككت تسمع

وهل تجيب إن سمعت؟"

(السيّاب، 2007: 50)

السيّاب، هذا العظيم الذي أضاف للعربية رونقاً لن تنساه، هذا الرجل الذي كان له الدور الأبرز في تأسيس مدرسة الشعر الحرّ، وكسر قواعد كانت متأسلة وراسخة حول الصّورة النمطية التي يجب أن تكون عليها القصيدة العربيّة كي تحظى باستحقاق القراءة والمتعة، في شعره أثبت شاعرنا للجميع أنّه لا يوجد قيود على المشاعر والأحاسيس في التعبير عنها، فالشعور الصادق يغلب كلّ شيء دائماً، يكسر المعتاد، سرّ الكتابة في البوح لا في نمط معيّن يفرضه أحدهم (ناجي، 1971: 41).

أؤمن أنّ الشعراء يستطيعون نظم كلّ ما يخالجه من مشاعر بسهولة، بل وحتى لديهم القدرة على كتابة ما لا يشعرون به فهم أصحاب موهبة، إلا أنّك في بعض الحروف كحرف شاعرنا تلمس صدقاً حقيقياً ومشاعر غير مصطنعة، تشعر بنبضات الكاتب بين نقاط الحروف، وترى رجفة قلبه بين الكلمات، تلحظ لمعة عينيه بين السطور، وتحسّ ببلل دمعاته حقيقة على الورق، لم تكن كلّ قصائد الشعراء مجرد حروف مرسومة، بعض القصائد تحمل في داخلها أسراراً دُفنت مع كتابها، وبعض القصائد كُتبت غزلاً لإحداهنّ شخصياً بعد أسرها لقلبه، وبعضها كُتب بعد بكاء طويلٍ وشعور مؤلم بالوحدة والاحتراق (هاني، 2010: 117).

مع زخم انتشار الكلام المبتذل في التعبير، واندثار ثقافة متابعة القصائد وقراءتها بنهم كالسابق، أعجّب من هول العواطف التي تضيع علينا من عدم دراسة هذا البوح، وأتأسّف على جيل كامل لن يتذوّق هذا الجمال الذي نفتقده بشكل كبير نحن الآن أيضاً! كيف يُذكرُ اسم السيّاب ويمرّ عليه مرور الكرام دون الاستمتاع ببوحه والاطّلاع عليه بشغف. لكنّ وعلى الرغم من كلّ هذا لا يزال البعض مهتماً ومطلّعا، فللسيّاب الآن بعض القصائد مغناة لمن لا يفضّلون القراءة في الدرجة الأولى (احسان، 1969: 129).

ها هو السيّاب كما رأينا في بعض المقاطع البسيطة التي أردفتها في المقال -و هي لا تمثّل شيئاً من قصائده الكثيرة-، يسطرّ أروع مثال لصدق الشعور الذي رافق قوّة الكلمة وعمق تأثيرها فقد تفوّقت قصائده في سحرها على الكثير من القصائد العادية وتفوّق قلمه على عشرات الأقلام التي اشتهرت وانتشرت في ذاك الزمن وحتى زمننا هذا (إياد، 2010: 72).

ما زالت قصائده وستبقى ملاذ الكثيرين من متذوّقي الأدب العربي، وما زالت حروفه مدرسة في الرّقة ورهافة المشاعر حتى الآن ولا أحسبها ستختفي، الحروف تبقى وتعيش حتى وإن مات كتابها، وكما العين

تقرأ العين وتميز صدقها من كذبها، تميز العين الحروف الصادقة أيضاً وتعرف كل شعور حقيقي لا ابتذال فيه وفي النهاية وكما أسلفت سابقاً سيبقى دائماً سر الكتابة في رقة البوح لا في نمطية معينة.

والعاطفة تُختزل كالتالي (وأني هنا في أشتياقٍ ..إليها)..ثم يوظف السياب لقطة من طفولتنا كلنا حين نهز السدرة / شجرة النبق تحديداً لنحصل على الثمرات، فتتساقط، دائماً مع النبق، الأحجار المرمية سابقاً على السدرة والعالقة بين الغصون..في القصيدة تغيب السدرة وتحضر الغصون وهي مفردة مشحونة بطراوة مملكة النبات، فما ان أقول مفردة غصون،حتى أراها تتبجس بخضرة زاهية..وفي المواسم يكتمل الزهو بقطوف دانية، لكن في هذه القصيدة نرى التضاد الاتصالي بين الخيالي/الرمزي:

(وإما هزرتُ الغصون

فما يتساقط غير الردى :

حجار

حجار وما من ثمار

وحتى العيون

حجار وحتى الهواء الرطيب

حجار، يندبه بعض الدم

حجار ندائي، وصخر فمي

ورجلاني ريح تجوب القفار).

(السياب، 2007: 57)

في هذه المقطوعة يبين لنا الشاعر حاله وهو يترجى من الايام ويتأمل منها الحظ والنصيب فيشبهها بشجرة يهزها وينتظر منها ان تسق عليه من ثمارها وبرجاء من هزها ينتظر ويتأمل بشغف ووهف الا ان النتيجة ماذا وقع عليها من هذه الشجرة الوهمية التي رسمها لنا الشاعر بمخيلته الا وهي الحجارة هذا ما جنه وما كان ينتظره فيتفاجأ بسقوط تلك الحجارة التي عبر عنها بالردى فيا لهذا الحظ السيء الذي اصاب الشاعر واي حالة من اليأس والاحباط وصل اليها ليقول هذه الكلمات التي يشفق عليه كل من يسمعها او يقرأها هذه هي الحال والمرحلة التي توصل لها شاعرنا طوال فترة حياته والتي كان يعبر عنها

ويرسمها لنا بكل معاني اليأس والفقر والانهزام والانكسار لواقع مرير عاشه حتى اصيب بمرضه ووافاه الاجل (حسن، 2012: 30).

الخاتمة والاستنتاجات:

إن التناغم الفكري في شعر بدر شاكر السياب ليس مجرد تماسك بين الأفكار، بل هو بنية جمالية وفكرية متكاملة تجمع بين التجربة الذاتية والهَمّ الوطني والتعبير الفني الحديث وبذلك استطاع السياب أن يقدم نموذجاً شعرياً فريداً تتلاحم فيه الفكرة مع الصورة، والوجدان مع الواقع، ليصبح شعره الوطني أحد أهم تجليات الحداثة الشعرية في الأدب العربي، وقد خرجت الدراسة بجملة من النتائج ابرزها:

- اختيار الألفاظ السهلة الموحية المعبرة الموسيقية في قصائد واشعاره ليس بشكل مستمر بل بعض منها وبعضها تدخل ضمن السريالية من حيث الغموض والابهام.
- عدم الالتزام بقافية واحدة وهذا ما يميز هذه المدرسة من حيث الحرية التامة في استخدام القوافي.
- الميل إلى التجسيم والتشخيص والاهتمام بالصورة الشعرية ايما اهتمام.
- التحرر من المحسنات البديعية المتكلفة واللجوء إليها في بعض الاحيان فهي اسلوب ادبي لا يمكن الاستغناء عنه.
- التجديد في شكل القصيدة من حيث المظهر والمضمون على غرار القصائد الكلاسيكية.
- البناء على وحدة التفعيلة.
- استخدام الرمز في قصائده.
- التأثر بالآداب الغربية والصينية باعتباره متطلع على الآداب الاخرى.
- استخدام الأسطورة أو الحكايات المروية من التراث دلالة على ثقافته وطول الباع عنده في ميدان الادب العربي.
- في شعر بدر شاكر السياب نجد اللغة غامضة ونادرا ما يستخدم الوضوح فهو يجعل من الرموز مفاتيح لقصائده
- اما من حيث وحدة الموضوع فنجدها موجودة في قصائده وأحيانا نادرا يخرج عنها
- نجد الإيقاع والموسيقى واضحة في العبارات والتراكيب على المستويات الصوتية والسمعية.

- المفردات ليست غريبة وغامضة في شعره فهو يحاكي زمانه ولا يخرج عنه الى الصعوبة والتعقيد فيكون من الشعراء البسطاء نتيجة لما نلمسه في كلماته الدالة على ذلك.
- نمط القصيدة عنده من الشعر الحر الحديث الذي نشأ على يده ويد نازك الملائكة وغيرهم.
- شعر بدر شاكر السياب عبارة عن غربة واغتراب وحرمان وفاقة وعوز الى حب الوطن والأرض والاهل والاصدقاء.
- يتميز شعر السياب الوطني بوحدة فكرية متماسكة.
- يقوم التناغم الفكري على جدلية (الألم – الأمل).
- تتكامل الصور الشعرية مع الرؤية الوطنية.
- أسهمت الرمزية والأسطورة في تعميق هذا التناغم.
- شكل الشعر الحر أداة فنية لخدمة الفكرة.

المصادر والمراجع:

1. إحسان عباس ، بدر شاكر السياب، مطبعة المعارف ، الطبعة الاولى ، لبنان ، بيروت ، 1969.
2. إياد ابراهيم، المهارات الأساسية في اللغة العربية ، دار البركة للنشر والتوزيع ، 2010.
3. حسن توفيق ، بدر شاكر السياب أزهار ذابلة وقصائد مجهولة وروائع ، 2012.
4. حسن توفيق ، شعر بدر شاكر السياب ، دراسة فنية وفكرية ، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن – عمان.
5. حيدر بيضون ، بدر شاكر السياب ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1991.
6. خالد الشرفات ، المؤثرات الاجتماعية في نشوء الشعر الحر، شعر بدر شاكر السياب أنموذج ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 4، المجلد 45 ، 2018.
7. ريتا عوض ، بدر شاكر السياب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1983.
8. عبد الجبار داود البصري ، بدر شاكر السياب ، رائد الشعر الحر، العراق ، بغداد 1966.
9. عبد الكريم راضي جعفر ، مفهوم الشعر عند السياب ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، 2009.
10. علي حداد ، بدر شاكر السياب قراءة أخرى ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، الطبعة الأولى، 1998.
11. عيسى بلاطة ، بدر شاكر السياب ، لبنان ، بيروت ، 1971.
12. كنث شيوعياً، بدر شاكر السياب، منشورات دار الجمل، بغداد، 2007.
13. ماجن بن يونس ، أسد بابل يختبئ وراء تمثال السياب، دار نعمان للثقافة ، الطبعة الاولى ، 2004.
14. محمود العبطة ، بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق ، بغداد 1965.
15. موسى القيسي ، لغة الشعر عند السياب ، تسليم، العدد السابع والثامن، المجلد الرابع ، 2018.
16. ناجي علوش ، مقدمة ديوان السياب ، طبعة دار العودة – بيروت 1971.
17. هاني الخير ، بدر شاكر السياب، ثورة الشعر ومرارة الموت، دمشق – سوريا: دار رسلان للطباعة والنشر ، 2010.

